علم الاجتماع الجنائي

Criminologie

— ٤ —

تقسيم المجرمين

انتهى بنا الكلام فيما أسلفنا من قول الى حد ان لمبروزو ذلك الطبيب اليهودي الايطالي يذهب الى ان هناك اتصالا ورابطاً متيناً بين الحالتين العضوية والنفسية — اذن فهو يعتقد الى جانب هذا انه كما ان الجريمة ، وهي تلك الظاهرة الوحشية أثر من آثار الانفعال الوحشي الذي كان ينتاب الانسان في حالته الوحشية الاولى ، وكما ان الرابطة متينة بين الحالتين — الحالة العضوية والحالة النفسية — فيتضح ان من بعثت فيه ظاهرة الاجرام أو حالته النفسية الأمارة بالسوء لابد مع هذا أن تكون حالته العضوية متناسبة مع هذه الحالة ، ويكون ماثية من شذوذ في الاعضاء وعدم تناسب بين عضو وعضو وتشوه أو مغايرة في ملامح الوجه وأشباه ذلك — يكون كل أولئك أيضاً أثراً ظاهراً باقياً يشير الى تأخر في الخلقة ورجوع الى الحالة الاولى .

وما نحن بقادرين على أن نتبسط في الحديث ونسهب في القول — في هذا الموضوع الآن وانما نحن نريد أن نذكر نوعاً خاصاً من أنواع المجرمين أو نريد أن ننبه على مرض اجتماعي ظهر في مصر — ولم يكن لها به سابقة عهد — منذ كانت جريمة الورداني — وما كنا نصدق أو نؤمن ان هذا المرض يصرع شبابنا بهذا الشكل المريع — وبهذه الشجرة يعنف ، وينتشر كالسرطان في جسم الامة ، أجل ما كنا نؤمن بذلك — لولا ماجاءتنا به الحوادث الماضية — حوادث الاعتداءات المشئومة التي نكبنا بها في هذا العهد والتي أودت أو كادت تودي بالبلاد الى مهواة سحيقة ، لايعلم الا الله ما آلها وما يكنه لها القدر في لوحه من الحوادث ومن المقادير .

ظهرت هذه الظاهرة وعرفنا هذا المرض الفتاك منذ أقدم الورداني على ارتكاب جريمته — فكان حقاً وكان لزاماً على العلماء والمفكرين أن يدرسوا هذه الظاهرة ويعمدوا

الى تشخيصها وتبيان أسبابها وعللها ـ ثم هو من بعد ذلك يبينوا مايجب على الحكومة والجماعات والافراد ـ أن يقوموا به لاستئصال هذا الميكروب من جسم الامة المصرية الفتية الناهضة المكينة المتكينة بين أمانيها المحمودة والمشروعة ـ وبين القدر ولا راد لقضائه .

ولكن علماءنا لاهون بغير هذه الابحاث معرضون عنها راغبون في غيرها ـ من أجل ذلك تفاقم الخطب وانتشر هذا المرض ووقع ماوقع من الحوادث ـ وقد الامر ـ ولله الامر من قبل ومن بعد .

ولقد كنت أود أن أكتب فذلكة عن كل مجرم من هؤلاء المجرمين وأميزه عن سواه لاعلم ان كان مجرماً بطبيعته ـ أو بالعادة ـ أو بالصدفة ـ وما هذا يتيسر لنا اذ اننا والحكومة معنا نجهل كل الجهل تاريخ حياة هؤلاء ـ وبيئتهم ـ وتربيتهم ـ ونوع معيشتهم ـ وما يقرأونه من كتب ـ وما يتأثرون به من مؤثرات ـ طبيعية أو اجتماعية ـ كذلك تاريخ عائلاتهم . فلو أتيح لانسان أن يتعرف كل ذلك ـ اذن لأمكنه أن يكتب عنهم كتابة قيمة قائمة على أسس علمية متينة .

نقول : وللعلامة لمبروزو ولع بهذه الابحاث فقد بدأ يكتب في هذا الموضوع وهو في الثالثة عشرة من سني حياته ـ فانتقد الجمهورية الرومانية ـ ثم دوّن في كتابه (الرجل المجرم) نظريات وأمثال يؤيد بها كل ماوفق اليه في بحثه من النظريات الطريفة، وهو من أجل وأنفع ما كتب في هذا الموضوع ـ ولقد جاء في هذا السفر النافع : تاريخ المجرم ـ والجريمة والعقوبة ـ والاسباب والبواعث التي تكوّن الجريمة وتقوي روح الاجرام في النفوس ـ فكان نافعاً وكان مفيداً .

وهاك تقسيم المجرمين :

(١) مجرم مجنون .
(٢) « بطبيعته
(٣) « بالعادة
(٤) « بالصدفة
(٥) « هوذي

ولكل قسم من هذه الاقسام كلام طويل نضرب لك مثلا بتاريخ حياة مجرم هووي وأوصافه ليكون هذا مقياساً تتبين به مقدار نفع معرفة تاريخ حياة هؤلاء — وتتعرف منه أيضاً ما يهمنا معرفته في حياة المجرم الهووي وهو أهم نوع من هذه الانواع الخمسة فنقول :

كان (كازريو) المجرم الهووي الذي عرفه تاريخ الاجرام — قروياً من عائلة فقيرة — هي — أبوه وأمه — و ١٨ من اخوته — وكانوا كلهم أقوياء أصحاء — وكان في ابان ارتكاب جرائمه — يبلغ من العمر ٢١ سنة — وكان أبوه نوتياً يعاش من نقل الناس من ضفة نهر ﴿ التشيو ﴾ الى الضفة الاخرى وكان مستقيما طيباً اشتبه الجند فيه فظنوه مهرباً وقفوه في معسكرهم على حدود ضفة النهر المذكور ثم حبسوه في كنيسة وهددوه بالقتل فصعق ، وكانت تنتابه نوبات عصبية بسيطة والظاهر ان استعداداً كان في الرجل ساعد على ظهور هذه العوارض — آية ذلك — ودليل الوراثة ان اثنين من أعمام ﴿ كازريو ﴾ أصيبا بالجنون الفرحي ؟

حسن منسي

مناقشة

بين رجل وكلب

لتشيخوف الكاتب الروسي الشهير

في احدى ليالي الشتاء المقمرة كان ألكسي رومانسوف عائداً من منزل أحد أصدقائه حيث قضى السهرة في شرب الخمر ولعب الورق . وكان يحدث نفسه وهو سائر قائلا :

— من هو الانسان ؟ ليس الانسان الا ذرة غبار أو رماد ، أوليس بولص نيقولا بيفيتش هوجاكنا الاعظم ؟ ومع هذا فهو رماد أيضا وماعظمته الا مظاهرة كاذبة فهي حلم — هي دخان اذا انفتح مرة تلاشى كأنه لم يكن . واذا بصوت طرق مسامعه:

عو — عو . . . .

فالتفت رومانسوف نحو الجهة التي أتى منها النباح فشاهد على بعد بضع خطوات منه كلبا اسود كبيراً بحجم الذئب مربوطا بسلسلة وجاثما في مربضه. فتفرس رومانسوف في الكلب وبعد أن فكر برهة ظهرت على وجهه امارات التعجب ، ثم رفع كتفيه وهزّ رأسه وابتسم بحزن .

عو ـ عو ـ عو .... نبح الكلب ثانية

ـ لا أقدر أفهم ـ قال رومانسوف ذلك محركا يديه علامة الاستغراب والاندهاش وقال : كيف تتجاسر أيها الكلب وتنبح على الانسان ، ذلك أمر لم أسمع به من ذي قبل ، ليت السماء تعاقبني ، ألا تعلم ان الانسان هو تاج الخليقة ؟ التفت الي ! ها أنا أقترب منك ... أنظر الي جيدا ! أنا انسان ، ألست كذلك ؟ ما رأيك ؟ هل أنا رجل أم لا ؟ أفصح برأيك !

عو ـ عو ـ عو

فقال رومانسوف : اعطني مخلبك ومد يده نحو الكلب ، هات مخلبك ، أترفض ؟ أتستخف بي ؟ ألا يعجبك ذلك ؟ لا بأس سأذكر ذلك ؟ ولكن اسمح لي أن أداعبك قليلا ولو من باب المحبة

عو ـ عو ـ عو

ـ آه ! أتعض ؟ جيداً جيداً ياسيدي ! سأذكر ذلك أيضا ، ويظهر لي أنه لا يهمك ان الانسان هو تاج الخليقة ، وملك العالم الحيواني . وهل تقصد ان تقول لي : انك تعض حتى الحاكم من يسجد له الجميع على ركبهم . يخال لي أنه كثيره في عرفك ، قد فهمتُ ما يجول بفكرك تماما ؟ آه اذن فأنت اشتراكي ، قف ، أجبني أأشتراكي أنت أم لا ؟

عو ـ عو ـ عو .

مهلا ! لا تعض ! بما كنتُ أفكر ؟ . . ذكرت ، كنت أفكر بالرماد أنفخه مرة فيتلاشى كأنه لم يكن . ولكن دعني أسألك ، وما الفائدة من الحياة ؟ اننا نولد في العذاب ، اننا نأكل ونشرب ، وندهب للمدرسة ، ثم نموت ، وما القصد من كل ذلك ؟ رماد ... فالانسان ليس الا ذرة رماد صغيرة جدا ، أنت لست الا كلبا ،

وليس في وسعك أن تفهم ، ولكن اذا كنت قادراً فانظر الى اعماق قلبي فتفهم شعوري النفساني

آه يا تعيس أنت تفكر بأني رومانسوف الكلب ملك الطبيعة ، أنت مغرور فأنا لست الا أحد محبي الرشوة ، أنا خداع ومراثي

ثم ضرب صدره بيده وطفق ينتحب : أنا مفتر ونمام .. ومن هو الذي فصل كورنشاكين من وظيفته ؟ ومن هو الذي اختلس المائتي ريال من مال اللجنة واتهم سركنشوف باختلاسها ؟ ألم أكن أنا الذي فعل ذلك ؟ أنا الردي والفريسي ويهوذا ، أنا المختلس الساقط

قال رومانسوف ذلك ثم مسح دموعه المتساقطة بطرف كمه وأخذ يتلهف ويتنهد وقال:

عضني ، كلني ، لأنه لم يوجد من يعلمني الفضيلة منذ صغري ، ان الجميع يعتقدون ملا مراء انني رديء وساقط ، ومع هذا فهم يمدحونني في وجهي ويبتسمون لي عند مشاهدتهم اياي ، آه ليت أحدهم ولو مرة قرص اذني ولعنني ، كل ايها الكلب الصغير وانهش ومزقني أنا الخائن المحتال . ثم سقط على الارض بجانب الكلب من شدة تأثره وضعفه

— حسنا مزق فكي ؛ ان ذلك يؤلم ولكن لا بأس ، لا تشفق عليّ ، خذ عض يدي ، ها اني أرى الدم يسيل مني ، العقه فأنت تستحقه ، شكراً لك أيها الحيوان الاسود ! لا تخف مزق فروتي أيضا ، فتقها فهي ليست الا رشوة وقد غدرت بأخ لي في الانسانية لأجلها . آه لقد آن لي أن أذهب . وداعا أيها الخبيث الصغير

عو — عو — عو

بعد أن داعب رومانسوف الكلب بيده مرة أخرى ومكنه من عض كمه ثانية لفّ جسمه بفروته ومشى متراوحا نحو منزله

وعند ما استيقظ رومانسوف من النوم في صباح اليوم الثاني نظر مشهداً لم يره من قبل . فقد شاهد رأسه ويديه ورجليه مربوطة بلفافات عديدة بينما كانت زوجته واقفة بجانب الفراش ودموعها تتساقط من عينيها ، وبقربها كان الطبيب وعلامات الحزن والقلق بادية على وجهه .